

قصة للشباب

من إصدارات حملة ركاز الإعلامية الخامسة عشرة

بقلم: د. طارق البكري

يا شباب افهموني صح



ركاز®
لتعزيز الأخلاق

يا شباب افهموني صح

"أعان الله دكتورنا الطيب، واجباته كثيرة، والكل يريد أن ينتفع بعلمه. جزاه الله خير الجزاء."

يبدأ بعض الطلاب بالخروج وهم ينظرون إلى ساعاتهم. "انتظروا قليلاً أيها الأعزاء، انتظروا."

نادى عادل زملاءه الطلاب قبل خروجهم، وقال: "أريد أن أطرح عليكم مشكلة مهمة، لنستمع إليها ونناقشها معاً."

قال عبد الله: "لا بأس، لدينا متسع من الوقت. ما هي المشكلة يا عادل؟"

عاد الطلاب إلى مقاعدتهم، وقال حماد: "خيراً إن شاء الله."

تنحى عادل ثم قال بصوت عالٍ: "في عطلة نهاية الأسبوع الماضي وقع بيني وبين أحد الأصدقاء خلافٌ صغير لكنه تطوّر، ورفض صديقي بعد ذلك أن يكلمني أو يسمع رأيي، وكنت أريد أن أوضح له موقفي كي لا يحكم عليّ بالخطأ؛ لكنه رفض أن يسمعني."

يتدخل سلمان ويقول: "وما هو سبب الخلاف الذي تحدث عنه؟" الأمر بصراحة قد يكون خطأ مني، فقد كتبت تغريدةً تحدثت

كانت مجموعة من طلاب الجامعة في انتظار وصول الدكتور المحاضر، بادر أحدهم بالقول بصوت عالٍ موجهًا كلامه إلى الجميع: "هل تعلمون يا أصدقائي بأننا نمر بتجارب كثيرة؟ بعضها جميل، وبعضها الآخر يضيق به الصدر، ومن كل تجربة نتعلم."

"نعم القول يا صالح، والخير أن يبدأ الإنسان بتعليم نفسه قبل أن يعلم الآخرين."

"صدقت يا طلال، وهل هنالك أفضل من معلم نفسه ومن معلم الناس الخير؟ ألا تتفق معنا يا جابر؟"

"والله ما تقولانه صحيح، وعين الحق."

يقوم صالح من مكان جلوسه في الفصل: "يبدو أن الدكتور سيتأخر اليوم، فالزحام شديد في الخارج."

يتلقى عبد الله اتصالاً، يبدأ هاتفه الصامت بالاهتزاز: "إنه

الدكتور فاضل. أهلاً دكتور، ننتظرك بالفصل ... أه، ستأخر نصف ساعة لأمر طارئ. عساه خيراً يا دكتور؟ لا بأس إن شاء

الله، نحن في انتظارك."

فيها عن بعض التصرفات الخاطئة لدى الشباب، ومنها التصرف المستهتر في المجمعات، وعلى البحر، وفي بعض الشوارع، ولا سيما قيادة الدراجات النارية بين المركبات والتنقل من حارة إلى أخرى دون مراعاة لسلامة الآخرين، لأن الأمر قد يسبب حوادث وأضراراً، وقد يؤدي إلى الموت، لا قدر الله.

الجميع: "هذا كلام طيب، وما المشكلة؟!"

"المشكلة أن هذا الصديق ظن بي الظنون، واعتقد أنني أقصده، وأشوه سمعته وأشهر به، فهو يحب قيادة الدراجات النارية. فنشبت بيننا مشادة كلامية، فقلت له: "يا أخي هدئي أعصابك، ووحّد الله، لماذا كل هذا الغضب؟! الله يعلم أنني لم أقصد ما تقوله، حقيقة لم أكن أقصد، ولا يوجد مبرر واحد لكل هذه الحدة. افهمني، أرجوك افهمني صح، لماذا تفهمني غلط؟"

ناصر: "نعم، يا عادل، فمن يفهم خطأ يحلل على مزاجه، من البين الواضح أنك غرّدت بشكل عام، لكن كما يقال: من كان تحت إبطه مسلة تخزّه. وماذا كان موقفه بعد ذلك؟"

"قال لي: أنت لست بصاحبي، ولا أنا بصاحبك! فقلت له على الفور: يا صديقي اعطني رأسك أبوسها. أرجوك، قلبي رقيق لا يحتمل كل هذا الغضب، فكّني مما بدا لك أنه جنون، أعصابك لا تؤثرها، وابتسم، فما قلته في تغريدتي يحتمل الصواب كما يحتمل الخطأ، ولست أنت هو المقصود. لكنّه أبى وأدار ظهره ومشى. فقلت له: يا أخي يكفي، أتعبتني بما فيه الكفاية. الله

يجزيك الخير، ما غلطنا بحقك".

"الناس أجناس كما يقولون." علق عبد الله على ذلك وهو يتنهد.

ثمّ تابع: "لكنني أقول إن الإنسان الواحد في داخله أناس أو أناسية أو أناس متعددون. وكما أن الكلمات الأخيرات جمع لمفرد واحد، كذلك الإنسان قد يكون سعيداً وحزيناً، متسامحاً في حكمه وقاسياً، هادئاً وعصبياً، ظالماً وعادلاً، شريفاً ومُخادعاً في آن معاً، وربما كان في وقت واحد أشكالاً متعددة متباينة. وأفكار الناس مُفرقة شذراً منيراً، لكن الإنسان -على العموم وفي كل مكان وزمان- يبقى إنساناً."

تسود فترة صمت يقطعها أحمد بقوله: "كثيراً ما صادفتني مواقف مشابهة، والأصدقاء في الجامعة يخبرونني بأمثالها، وقد يصدف أن نسمع ونرى مناوشة كلامية أو جدالاً وربما نزاعاً محدّوداً غير محمود بين طلبة الجامعة وقت الذروة في الصباح أو المساء عندما يكون الطلبة مُسرعين ومُستعجلين، حرصاً على عدم التأخر عن فصولهم، أو حين العودة إلى منازلهم."

يلتفت جمال نحو النافذة، ينهض من مكانه، يشق النافذة قليلاً فينسب الهواء محملاً برائحة العشب المبلل بالماء، ثم يسند ظهره إلى النافذة فينظر إليه الجميع يترقبون قوله: "بالنسبة لي، عندما أصادف مثل هذه المواقف أقول: يا أخي المُسامح كريم."

يضحك عبد الله: "هذا ما أردت أن تتحفنا به؟"

يقول حمد قاطعاً ضحكات الأصدقاء: "أحياناً أصادف مواقف

سيئةً للغاية، أحاولُ أن أتدخلَ للإصلاح فينظر إليَّ البعضُ بتهكُّمٍ، شَرّاً واستهانةً، وكأنهم يقولون: ما شأنك أنت؟! وبعضهم يقول: أستغفر الله، الله يلعن الشيطان. وبعضهم الآخر لا يلتفت إليَّ ويستمر في مناوشاته. وعادة ما أتجنب الغوصَ في التفاصيل، لأنَّ الشيطانَ كما يقولون يكمنُ في التفاصيل. وأنا عادة لا أكرثُ بكلِّ ما أسمعُه وأراه وأعرضُ عن الجاهلين، ورُبَّما شتَمني أحدُ المُتخاصِمين لسببٍ أو لغير سببٍ، وأنا المُصلِحُ فلا أبالي. لكن اليوم المشكل مع صديقٍ عزيزٍ، ولا أرى سبباً وجيهاً للخُصومةَ بينكما."

يتكلمُ سلامُ لأول مرةٍ منذ أن طرَحَ عادلُ مُشكلته ويقول: "لطالما سمعتُ أبي يُرددُ دائماً القولَ المأثور: إذا بلغَكَ عن أخيكَ شيءٍ تُنكره؛ فالتمسْ له عُذراً واحداً إلى سبْعين عُذراً، فإنَّ أصبَّتَه، وإلا؛ قل: لعلَّ له عُذراً لا أعرفه."

ويضيفُ سلام: وبالتأكيد أن أبي لا يقصد بذلك أن استسلم للواقع، بل يقصد التغاضي عن الموقفِ نفسه، والبحث عن الجوانبِ الإيجابية التي تكون حتمية بين البشر، لأنك إن بحثت عن المظاهر السلبية لم تنته، وقد تعلمتُ أن التمس الأعداء دائماً."

عادل: "صدقتَ وصدقَ أبوكَ أطال الله في عُمره، لكنِّي أريد حلاً لا مؤعظةً."

عبدالله: "طالما هو مُصرٌّ يا عادل على موقفه، فمن الصَّعوبة أن

تغيَّرَ مثل هذا الموقف. وقد صادفتُ تجاربَ شبيهة، وتحديدًا في الأماكن العامة، فحدثتُ عنها ولا حرجَ وخاصةً عندما أزرُ المجمعات المزدحمة، أو الإدارات الرسمية لإنهاء معاملة. أو حتى عندما أكونُ في المُستوصف، وأريدُ دخولَ عيادةِ الطبيبِ بعد أن يطلبَ مني الذهابَ لقياسِ حرارتي والعودة إليه، فيظنُّ أحدهم -وخاصةً الشَّابَّ المُتحمِّسَ بعد أن استأذنه للدخول على الطبيب- أنني أريد تجاوزَ دوره، معَ أنني خرجتُ قبلَ قليلٍ من العيادة وذهبتُ إلى الممرض لقياسِ حرارتي كما أمرَ الطبيب. وفي النهاية صرتُ أتجنَّبُ مثلَ هذا الموقف، وأتفرَّسُ في وجهِ صاحبِ الدَّور، فإذا وجدته سَمحاً لبقاً استأذنته، وإن لم أجده كذلك انتظرتُ الذي بعده."

عادل: "لا أدري، ففي هذا الأمر صعوبة تمييز السَّمح عن غيره. لكنني أحمد الله أنني لم أصادف مثلَ هذا الأمر على الإطلاق، لأنَّ أكثرَ النَّاسِ يتساهلون في ذلك ويتسامحون. لكنك لم تقدِّم حلاً لمشكلتي، إلا إذا كنت تقصد بأن صديقي الذي أتحدثُ عنه ليس سَمحاً، وليس لبقاً، ويجب علي أن أتجنبه."

يضحكُ عبد الله ويقول: "إنَّ اللبيبَ من الإشارة يفهم." كانَ بعضُ الطلابِ يستمعون ولا يتحدثون، فقال لهم عبد الله: "هل لديكم قصصٌ مماثلة نستفيد منها؟ هيا أخبرونا بها يا أصدقاء، جودوا علينا بتجارِبكم."



يضحك مشعل ويقول: "على ذكر التفرّس في قصّة سلام؛ سأخبركم عن تجربة مضحكة حدثت معي قبل أيام وأنا أمشي صباحاً على البحر. كنت أدور في دائرة صغيرة واحدة، وفي كل دورة تقع عيناى على شاب في مثل عمري يجلس وحده تحت شجرة كبيرة. فجأة، وجدته يقطع الطريق أمامي متهما إياي بأني أتفرس فيه وأتحداه، لكنني أكّدت له أنني لم أفعل. فأصرّ على ذلك، وكان كما يبدو يريد أن يفتعل مشكلة معي، وبما أنني لست رياضياً مثل أحمد، ولا قوي البنية مثل حمد، ولا أملك حزاماً أسود ولا أبيض، فقد حاولت التملص والهرب، لكنه قام بملاحقتي، وسار خلفي. فوقفت وقلت له بصوت مرتفع: لا تعقد الأمور عليّ وعليك، لم أكن أنظر إليك بتحدٍ، عيناى جاءتا في عينيك بالصدفة، كنت أنظر ساهياً بغير هدف. يا أخي أحلف بالله العظيم. هل تريد أن أحلف لك على المصحف لكي تُصدقني؟ يا أخي لماذا تريد أن نتقاتل على لا شيء؟ فتجمع الناس من حولنا وصاروا ينظرون إلينا ويترقبون ما سيحدث. عندها تركني الشاب ومضى ولم ينبس بكلمة واحدة."

فراح جميع الأصدقاء يضحكون.

وعندما هدأت الضحكات قال أحمد: "وماذا يعني الحزام الأسود؟ بل ماذا تعني القوة؟! القوي الحقيقي يا شباب هو الذي يملك نفسه ساعة الغضب، كما جاء في الحديث الشريف. أنا لم أتدرب على الكراتيه لكي أضرب الآخرين، بل لأن الرياضة صيحة وقوة،

وهي ليست للتسلط والاعتداء، بل للدفاع عن النفس عند الخطر. وأنا مثلكم صادفتُ أيضاً مواقف، وسمعتُ كلاماً جارحاً لا أستطيع أن أذكره لكم، لكنني رغم ذلك لم ألجأ إلي القوة، وأفضل دائماً المسامحة. وفي مرة شتمني شاب يقود سيارة رياضية حديثة جداً في منتصف الطريق لخطأ قمتُ به أثناء قيادتي للسيارة، فلاحق بي. ولما دخلتُ طريقاً فرعياً وأوقفتُ سيارتي، انتبعتُ إلى أنه ما زال يلاحقني. واستمر في شتمني، وبما أنني حاصل على الحزام الأسود في الكراتيه كان بإمكانني تأديبه، لكنني قلت بكل هدوء: والله أنا برئ من ظنك بي، أنا في حياتي لم أتجاوز صف السيارات التي تنتظر دورها عند الإشارة، ولم أقدم سيارتي يوماً في حارة الأمان لأتجاوز السيارات التي تنتظر، لأنني أقف مثل الجميع أنتظر مرور الآخرين حتى يصل دوري. ورغم أنه لم يقتنع فإن اعتذاري أخجله، وأصبحنا من أعز الأصدقاء منذ تلك الحادثة. والله تعالى يقول في سورة فصلت: {... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}.

الجميع بصوت واحد: "صدق الله العظيم."

ويتحدث عباس فيقول: "أما أنا فقد واجهتني مشكلات مماثلة، ففي الأسبوع الماضي تحديداً ذهبتُ إلى السوق. وعندما أوقفتُ سيارتي، فوجئتُ بشاب يصيحُ بي بصوت مرتفع، ويبدو أنني سبقتُه وركنتُ سيارتي بشكل مُباغت له في الموقف نفسه الذي كان يستعد لإيقاف سيارته فيه، دون أن أنتبه إلى وجوده. نظرتُ إليه

مُبْتَسَمَا وهو يحدثني بكلِّ غضبٍ وكأني خَطَفْتُ منه جوهرةً
ثَمِينَةً واستوليتُ عليها، ثمَّ قلتُ: آسف يا أخي، لم انتبه. لا مُشكلة،
سأنقل سيارتي فوراً، تفضّل، المُهمُّ تكون راضياً، المكان فسيح
وسأبحثُ عَنْ مَوْقفٍ آخَرَ. ليس بالضرورة أن أقفَ في هذا المكان،
الأمّاكنُ وَفيرة، اللهُ يوسّع علينا جميعاً. ولن تُصدّقوا ما حدث بعد
ذلك، لقد امتصصتُ بكلامي هذه كلَّ غضبه. ورفض رفضاً قاطعاً
أن أغيرَ مكانَ سيارتي، وَقَالَ لي إن كلاً الموقفين على حسابي."
ويتابع عباس قائلاً: "وقبل أيام قليلة كنتُ في إحدى الوزارات
لإنجاز معاملة، فبادرني شخص كبير بالسن يتهمني بصوت عالٍ
أني أخذتُ دوره، ولم ألتزم بالطابور. فاعتذرتُ إليه قائلاً: "عذراً يا
سيدي، لم أنتبه، والله لم أنتبه إلى أنّك تقفُ قبلي بالدور. يا عمّي
الأمرُ بسيطٌ وليس سبباً ومدعاةً لكلِّ هذا الضجيج والإجراج، حتى
لو كان دوري فمكانك في المقدمة، فسأمحني. لكنّه ظلُّ يُبربرُ
ويكثر الكلامُ في جلبة وصياح وغضب ونفور، فقلتُ له: لا تغضبُ
يا عمّ، أرجوكُ سأمحني. لا يوجدُ سببٌ يجعلك تغضبُ بهذا الشكل.
تفضّل، المكانُ كله لك، وأنا سأقف هنااااااا في آخر الطابور، ولو
شئتَ سأخرجُ مِنَ المبنى كله، وأعودُ في يومٍ لاحقٍ."
وقبل أن يكملَ عباس قصته، وفي هذه اللحظة يدخلُ الدكتور
مُعتذراً عن التأخير. وقبل أن يبدأ المحاضرة يقولُ خالد،
وكان طوال الوقت ينصتُ بصمت: "عذراً يا دكتور، لقد دار
قبل مجيئك حوارٌ مهمٌ جداً، وعزمتُ على الكلام لكنّي انتظرتُ

وُصُولك لكي أتكلّم خلالَ وُجودك. فهل تَسمحُ لي بكلمة يا سيدي؟"
"تفضل يا بني، باختصار."

"يا أستاذ، اسمح لي باعتراف واعتذار. لقد أخطأتُ بحق عادل،
والاعتذار عن الخطأ فضيلة، أليس كذلك؟ والمُسامح كريم."
وما أن انتهى خالد مِنْ كلمته حتّى ضجَّ الفصل بالتصفيق
من المفاجأة، لأنَّ أحداً منهم لم يكن يعلمُ أنّ الخصومة هي بين
عادل وخالد. فقفز عادل ليضمَّ خالداً إلى صدره، والفرحة تغمر
الجميع.

ضحك الدكتور فاضل وهو يضربُ الطاولة بيده قائلاً:
"هدوء، هدوء لو سمحتم. يبدو أنّه قد فاتني حوارٌ خطيرٌ دفع
خالد لكي يعتذرُ ويعترف بهذا الاعتراف أمامي وأمام الجميع.
سنؤجل المحاضرة إلى وقت لاحق. لكن يا شباب افهموني صح،
الدّرس بإمكانه أن ينتظر بعض الوقت، أمّا أنا فلدي فضولٌ وأسعُ
عريض لأسمع تفاصيل الحوار الذي تمَّ بينكم من الألف إلى
الياء، حتى أفهم المشكلة وكيف ناقشتموها. هيا يا أبنائي اغلقوا
كتبكم، وفهّموني -الله يرداكم- ما هي القصة؟ أريد أن أسمع
تفاصيلها من بدايتها حتى نهايتها، وكلّي آذان صاغية."



المتسامح

راجح